مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى
وديرالشهيدة دميانة بالبرارى

تأملات فى مزمور

يا رب إليك صرخت

بقلم
الأنبا بيشوي
مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة

الكتاب: تأملات فى مزمور "يا رب إليك صرخت"
المؤلف: الأنبا بيشوى مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس
الناشر: مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى ودير القديسة دميانة
الجمع بالكمبيوتر: راهبات دير القديسة دميانة
الغلاف: تصميم راهبات دير القديسة دميانة
الطبعة: الأولى يناير ٢٠١١
المطبعة: بريما جرافيك للطباعة والتوريدات ٠٢٢٦٣٧٣١٣٠
رقم الإيداع بدار الكتب:
يطلب من دير القديسة دميانة بالبرارى، تليفونات رقم:
٢٨٨٠٢١٨(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٣٤(٠٥٠)، ٢٨٨٠٠٠٧(٠٥٠)،
٢٨٨٠٧٦٣(٠٥٠)، ٢٨٨٠٦٧٩(٠٥٠)، ٢٨٨١١٤١(٠٥٠)،
٤١١١١٣٥(٠١٨)، ٨٨٨١٣٣٩(٠١٨)
فاكس : ٢٨٨٠٠٠٨(٠٥٠) مع تسجيل رسائل.
بريد إلكترونى email: demiana@demiana.org
email: demiana8@demiana.org
يطلب أيضاً من :
مقر الدير بالقاهرة ت: ٢٦٨٤٧٠١٤(٠٢)، ٢٦٨٤٢٤٠٠(٠٢)
ومقر الدير بالاسكندرية ت: ٥٥٦٩٣٨٩(٠٣)

☩ مطرانية دمياط وكفر الشيخ والبرارى
ودير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

تأملات فى مزمور
يا رب إليك صرخت

بقلم

الأنبا بيشوى

مطران دمياط وكفر
الشيخ والبرارى
ورئيس دير
القديسة دميانة ببرارى بلقاس

مقدمة

المزامير هى صلوات موحى بها من الله. أوحى بها الروح القدس، وهى تحمل وعود من الله للإنسان ليس فقط هى كلمات يقولها الإنسان لله، ولكنها أيضًا تحمل كلمات من الله للإنسان.

المزامير أو الصلاة بالمزامير هى الوسيلة التى لها نستطيع بها أن نجمع قراءة الكتاب المقدس مع الصلاة فى آن واحد. وتمتاز المزامير التى كتبها داود النبى بنغمة خاصة ومشاعر معيّنة، وترتبط ارتباطًا خاصًا بشخصية داود المرهَفة.

وكتابنا هذا تأمل فى المزمور الثامن من صلاة النوم[1] فى صلوات الأجبية، وهو من المزامير التى كتبها داود النبى، ذو المزمار والقيثار والعشرة أوتار.. وهو المزمور المائة والأربعون (المائة والحادى والأربعون فى الترجمة البيروتية).

---

[1]) هذه التأملات قيلت فى دير مارمينا بمريوط سنة ١٩٨٢م فى اللقاء الأسبوعى مع رهبان وطالبى الرهبنة بالدير.

فداود بمزاميره الحلوة يأتى لكى يشاركنا هذه التسبحة الروحانية ويقول فى مزموره: يا رب إليك صرخت فاستمع لى، انصت إلى صوت تضرعى..

فمن الجميل أن يطلب الإنسان من أجل أن تستجاب صلاته ويسمعها الله.. هناك من يصلى دون أن يسأل من الله أن يسمع صلاته! وهناك من يقدّم من أجل صلاته صلاةً لكى يسمعها الله، ويقول لله يا رب أنا لا أستحق أن تستمع إلى كلماتى، ولذلك أنا أصلى لكى تصير صلاتى مقبولة أمامك.. أنا أصلى لكى تعطينى تلك المشاعر المقدسة التى بسببها تدخل صلاتى إلى حضرتك..

من ذا الذى يصلى من أجل الصلاة التى يقدّمها؟

نحن عادةً نصلى من أجل أمرٍ ما نريده، أو نسبّح أو نشكر مباشرة، أما هذا فيطلب من أجل صلاته لكى تكون مقبولة.

ليتنا ونحن نصلى بالمزامير نتأمل معانيها القوية حتى تصير سبب نصرة روحية لنا وهزيمة للشياطين.

من أجل ذلك نقول إن المزامير هى مدرسة للصلاة. وقد أوصانا قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته بقوله: «احفظوا المزامير تحفظكم المزامير».

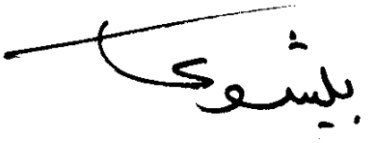

٧ يناير ٢٠١١م

٢٩ كيهك ١٧٢٧ش

عيد الميلاد المجيد

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة

يا رب إليك صرخت فاستمع لى
انصت إلى صوت تضرعى إذا ما صرخت إليك

تفضل يا رب واسمع صلاتى. كمن يأخذ الإذن من الله قبل أن يتكلم، أو كمن يقرع فى أذنىَّ رب الجنود متوسلاً أن يستمع الله إلى صلاته. وقد قال السيد المسيح "اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ" (مت٧: ٧)، لعل هذا هو نوعٌ من القرع على أعتاب وأبواب السماء.

يا رب إليك صرخت فاستمع لى؛ عندما تكون هذه الصلاة قوية صادرة من عمق القلب وبكل قوة؛ فإنها تصير مثل الصراخ. مثل غريقٍ يطلب ويصرخ من أجل النجاة، كما يقول الشاعر: صوتى عِلى كصرخة غريق، يصرخ ويصرخ ويصرخ، يصرخ بكل قواه للحياة.

هل يمكن للغريق أن يطلب النجاة هامسًا أو مبتسمًا؟! الغريق يصرخ بكل قوة. تُرى ونحن نصلى هل نقدم صلاة فاترة ضعيفة، أم يقف الإنسان ويرفع يديه نحو السماء ويصرخ إلى الله حتى تشق صلاته عِنان السماء لتدخل إلى أذنى رب الجنود.

يوجد من يصلى فلا تتعدى صلاته سقف الحجرة التى يصلى فيها، إذ تكون صلاته فاترة ضعيفة ليست من عمق المشاعر، وليست من عمق القلب.

الخطية أيضًا تصرخ !!

وكما أن الصلاة يمكن أن تصير صراخًا، هكذا نسمع قديمًا قول الرب لأبينا إبراهيم "إِنَّ **صُرَاخَ** سَدُومَ وَعَمُورَةَ قَدْ كَثُرَ وخطيتهم قَدْ عَظُمَت جِدّاً. أَنْزِلُ وَأَرَى هَلْ فَعَلُوا بِالتَّمَامِ حَسَبَ صُرَاخِهَا الآتِي إِلَيَّ وَإِلاَّ فَأَعْلَمُ" (تك١٨: ٢٠، ٢١).

فالخطية أيضًا تصرخ أمام الله!! يقال عنها إنها خطية صارخة. لهذا يقول الرب لإبراهيم إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قد عظمت جدًا، فالخطية تصرخ فى أذنى الرب وتزعجه.

مثلما حدث بعد قتل قايين لأخيه، قال له الرب: "صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ **صَارِخٌ** إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ" (تك٤: ١٠).

فالدم يصرخ إلى الله، والظلم يصرخ إليه، كذلك الخطية هى صراخ فى أذنىّ الله.

قدّم صراخ للقادر أن يخلّصه

كما تصرخ الخطية؛ أيضا **الصلاة والبر يصرخان** فى أذنى الله من أجل الخطاة. فالسيد المسيح قدّم صراخًا من أجلنا فى ليلة آلامه على الصليب "**الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ. مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ**" (**عب٥: ٧، ٨**). قدّم صراخ للقادر أن يخلّصه من الموت.

فكما تصرخ الخطية أمام الله ينبغى أن نصرخ أيضًا نحن من أجل خطايانا لكى يغفرها لنا الله، ومن أجل خطايا الآخرين أيضًا لكى يترأف الله ويتحنن ويرفع غضبه.

يقول الكتاب للخطاة من محبى المال "هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، ابْكُوا مُوَلْوِلِينَ عَلَى شَقَاوَتِكُمُ الْقَادِمَةِ" (يع٥: ١)، فينبغى للإنسان أن يبكى ويصرخ أمام الله من أجل خطاياه..

مشكلتنا فى التوبة أننا نقدم توبة فاترة، ليست توبة بصراخ كمن يمزق ثيابه وينوح، كمن يذرى ترابًا فوق رأسه، كمن يلطم

على خديه صارخًا طالبًا الرحمة.. هذا المزمور يدخل بنا إلى هذه الحالة من الصراخ؛ من أجل أنفسنا ومن أجل الآخرين.

لتستقم صلاتى كالبخور قدامك

أمر الرب موسى أن يصنع مذبحًا داخل القدس فى خيمة الاجتماع، وأن يوقد البخور على مذبح البخور ليلاً ونهارًا بلا انقطاع. والعجيب أن يكون للبخور مذبح !! فنحن نعرف أن المذبح تُذبَح عليه وتدحر الحيوانات أو الذبائح، فكيف يُذبح البخور؟!..

هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة

لا نستطيع أن نفهم كيف يمكن أن يكون البخور ذبيحة إلا من خلال عمل السيد المسيح كفادٍ ومخلّص. والكنيسة من خلال إدراكها لهذا الأمر، رتبت فى طقسها أنه فى دورة البخور حيث يطوف الأب الكاهن بالبخور فى الخورس الأول ثم يأتى إلى مدخل الخورس الثانى حيث يردد هذه الأرباع:

{يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد. **هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا. فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}.**

وعندما يصلّى الكاهن سر البخور فى العشية على المذبح يصلّى ويقول: [أيها المسيح إلهنا العظيم المخوف الحقيقى الابن الوحيد وكلمة الآب، **طيبٌ مسكوب هو اسمك القدوس، وفى كل مكان يُقَدم بخورٌ لاسمك القدوس صعيدة طاهرة.. نسألك يا سيدنا اقبل إليك طلباتنا، ولتستقم أمامك صلاتنا مثل بخور رفع أيدينا ذبيحة مسائية. لأنك أنت هو ذبيحة المساء الحقيقية، الذى أصعدت ذاتك من أجل خطايانا على الصليب المكرم كإرادة أبيك].**

وتكرر الكنيسة هذه الكلمات فى لحنٍ يوم الجمعة العظيمة " Vai `etafenf فاى إيتاف إينف.." **[هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة].** بل وتردد نفس هذه الكلمات فى كل يوم أحد فى التذاكية أى الثيئوتوكية بلحنٍ آخر لا يقل روعة وجمالاً..

فالكنيسة تتغنى فى كل المناسبات الهامة والجميلة مؤكدة أن السيد المسيح هو الكاهن الأعظم؛ هو رئيس الكهنة الأعظم الذى قدّم ذاته كحملٍ بلا عيب فاشتمه أبوه الصالح رائحة رضا وسرور.

وفى أيام جسده قدّم طاعة كاملة لأبيه السماوى وصار موضعًا لرضا وسرور الآب فقال: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت٣: ١٧)، **فكانت حياته أيضًا كرائحة بخور عطرة هى رائحة المسيح الذكية.**

البخور والصلاة المقبولة

من التقدمات والقرابين الخمسة فى العهد القديم بالإضافة إلى ذبائح المحرقة والخطية والإثم والسلامة؛ كانت **تقدمة القربان** التى فيها يأخذ الكاهن ملء يده من **دقيق ولبان** ويضع على المذبح. فاللبان أو البخور دخل ضمن الذبائح والقرابين المذكورة فى توراة موسى.

كذلك عندما أتى المجوس للسجود قدموا للسيد المسيح الملك المولود هداياهم ذهبًا و**لبانًا** ومرًا، فكان اللبان إشارةً إلى كهنوته.

وكان البخور أيضًا فى إعلان ميلاد يوحنا المعمدان عندما بشّر الملاك زكريا الذى كان قد أصابته القرعة أن يدخل ويرفع البخور ويكهن أمام الرب، فظهر له ملاك الرب واقفًا عن يمين مذبح البخور.

فالبخور هو رمز للصلاة المقبولة، والسيد المسيح مكتوب عنه "أَمَّا أَنَا فَصَلاَةً" (مز١٠٩: ٤) رمزًا للصلاة المقبولة أمام الله.

بالمسيح يسوع ربنا

لتستقم صلاتى كالبخور قدامك؛ هذه الصلاة المستجابة والمقبولة هى طاقات بر المسيح وكماله. فنحن لا يمكننا أن نصير مقبولين أمام الله إلا بالمسيح يسوع ربنا.. البعض يتساءل لماذا أضافت الكنيسة فى آخر الصلاة الربانية تلك العبارة التى لا توجد فى نص الصلاة الربانية فى الإنجيل

"بالمسيح يسوع ربنا". إذا لم يكن قد نطقها السيد المسيح؟. الكنيسة المسترشدة بالروح القدس أعلنت أنها لن تستطع أن تقول للآب السماوى "أبانا" إلا من خلال بر السيد المسيح؛ إذ أننا لم نأخذ البنوة إلا من خلال قبول السيد المسيح كابن لله؛ كممثل لنا إذ قال الآب عنه: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (مت٣: ١٧)..

والسيد المسيح نفسه أوصى بعدها أن تكون الصلاة باسمه إذ قال لتلاميذه: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ. إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً" (يو١٦: ٢٣، ٢٤).

ولم يكن من الممكن وهو ينطق الصلاة الربانية ويعلمها لتلاميذه أن يقول "بالمسيح يسوع ربنا" كأنه هو شخص آخر غير المسيح. فبناءً على وصية السيد المسيح وضعت الكنيسة هذه العبارة فى الصلاة الربانية، وفى بداية كل صلاة ليتورجية أى ما يقوله الشمامسة والشعب جهرًا.

لا أستطيع أن أقول أبانا إلا بالمسيح يسوع ربنا.

لا أستطيع أن أقول ليتقدس اسمك إلا بالمسيح يسوع ربنا.

لا أستطيع أن أقول ليأتِ ملكوتك إلا بالمسيح يسوع ربنا.

لذلك ونحن نقدم الصلاة ونقول: لتستقم صلاتى كالبخور قدامك؛ نذكر أن السيد المسيح هو هذه الصلاة المقبولة، وهو البر الكامل، وهو الحياة المرضية للآب السماوى، والرائحة العطرة التى نتوشح بها لكى نكون مقبولين أمام الله. هكذا قال السيد المسيح "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ **إِلاَّ بِي**" (يو١٤: ٦). لذلك فهذا البخور المتصاعد نحو السماء من الكنيسة هو رمز للصلاة النقية الزكية الطاهرة المقبولة أمام الله، الذى يتنسمها الله رائحة رضا وسرور.

ليكن رفع يدىّ كذبيحة مسائية

الصليب الذبيحة المسائية

عندما يرفع الإنسان يديه؛ يتخذ بذلك شكل الصليب. فعندما تُرفع أيادى طاهرة فى الصلاة نتذكر ذبيحة السيد المسيح وبر المسيح الكامل، نتذكر أنه أصعد ذاته وقت المساء على الجلجثة، لذلك يقول المزمور **ذبيحة مسائية.**

كلمة **ذبيحة مسائية** مرتبطة **بذبيحة الصليب**، فإذا صليت هذا المزمور صباحًا تذكّر أن الذبيحة التى تقدّمها صباحًا تكون مقبولةً من خلال ذبيحة المساء التى قدمها السيد المسيح. ولكن الكنيسة بحكمتها لكى لا يحدث تضارب فى الأفكار أو فى فكر المصلى، رتبت هذا المزمور فى الصلوات المسائية؛ فيقال فى صلاة النوم ليلاً، وصلاة الستار ليلاً، وصلاة الخدمة الثالثة من صلوات نصف الليل التى تكون قبل بزوغ الفجر فى هزيع الليل.

ضع يا رب حافظًا لفمى وبابًا حصينًا لشفتي

"لَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ؟" (يع٣: ١١). هكذا يقول يعقوب الرسول عن الفم: "بِهِ نُبَارِكُ اللَّهَ الآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللَّهِ" (يع٣: ٩). **فبعد أن تكلم المرتل عن ذبيحة المساء المقبولة أمام الله، تذكّر أن هذه الصلاة لكى تكون طاهرة ونقية ينبغى أن تصدر عن فمٍ خالٍ من الغش والمكر، خالٍ من الخبث والرياء والنميمة.** هكذا يقول معلمنا بطرس الرسول فى رسالته

الأولى "لأَنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحِبَّ الْحَيَاةَ وَيَرَى أَيَّامًا صَالِحَةً، فَلْيَكْفُفْ لِسَانَهُ عَنِ الشَّرِّ وَشَفَتَيْهِ أَنْ تَتَكَلَّمَا بِالْمَكْرِ، لِيُعْرِضْ عَنِ الشَّرِّ وَيَصْنَعِ الْخَيْرَ، لِيَطْلُبِ السَّلاَمَ وَيَجِدَّ فِي أَثَرِهِ" (١بط٣: ١٠، ١١).

اللسان نار عالم الإثم

يقول المرتل أيضًا: "قُلْتُ أَتَحَفَّظُ لِسَبِيلِي مِنَ الْخَطَإِ بِلِسَانِي" (مز٣٩: ١)، اللسان من أصغر الأعضاء فى جسد الإنسان لكنه أيضًا من أخطر الأعضاء، ومعلمنا يعقوب يحذّرنا من أفعال هذا اللسان فيقول "هُوَذَا السُّفُنُ أَيْضًا، وَهِيَ عَظِيمَةٌ بِهَذَا الْمِقْدَارِ، وَتَسُوقُهَا رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ، تُدِيرُهَا دَفَّةٌ صَغِيرَةٌ جِدّاً إِلَى حَيْثُمَا شَاءَ قَصْدُ الْمُدِيرِ. هَكَذَا اللِّسَانُ أَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ وَيَفْتَخِرُ مُتَعَظِّمًا. هُوَذَا نَارٌ قَلِيلَةٌ، أَيَّ وُقُودٍ تُحْرِقُ؟. فَاللِّسَانُ نَارٌ! عَالَمُ الإِثْمِ. هَكَذَا جُعِلَ فِي أَعْضَائِنَا اللِّسَانُ، الَّذِي يُدَنِّسُ الْجِسْمَ كُلَّهُ، وَيُضْرِمُ دَائِرَةَ الْكَوْنِ، وَيُضْرَمُ مِنْ جَهَنَّم لأَنَّ كُلَّ طَبْعٍ لِلْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ وَالزَّحَّافَاتِ وَالْبَحْرِيَّاتِ يُذَلَّلُ، وَقَدْ تَذَلَّلَ لِلطَّبْعِ الْبَشَرِيِّ. وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ

مِنَ النَّاسِ أَنْ يُذَلِّلَهُ. هُوَ شَرٌّ لاَ يُضْبَطُ، مَمْلُّوٌ سُمّاً مُمِيتًا. بِهِ نُبَارِكُ اللَّهَ الآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِ اللَّهِ. مِنَ الْفَمِ الْوَاحِدِ تَخْرُجُ بَرَكَةٌ وَلَعْنَةٌ! لاَ يَصْلُحُ يَا إِخْوَتِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الأُمُورُ هَكَذَا!. أَلَعَلَّ يَنْبُوعًا يُنْبِعُ مِنْ نَفْسِ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ الْعَذْبَ وَالْمُرَّ؟. هَلْ تَقْدِرُ يَا إِخْوَتِي تِينَةٌ أَنْ تَصْنَعَ زَيْتُونًا، أَوْ كَرْمَةٌ تِينًا؟ وَلاَ كَذَلِكَ يَنْبُوعٌ يَصْنَعُ مَاءً مَالِحًا وَعَذْبًا!" (يع٣: ٤-١٢).. عندما تقول: ضع يا رب حافظًا لفمى وبابًا حصينًا لشفتي؛ قل له يا رب لقد حاولت كثيرًا أن أضبط هذا اللسان ولم أستطع، فساعدنى أنت. اللسان لا يستطيع أحد من الناس أن يذلله. هو شرٌ لا يضبَط مملوءٌ سمًا مميتًا. فخطايا اللسان كثيرة؛ الكذب، والشتيمة، والنميمة، والتعظم، والغضب، والافتخار.

عندما يفحص الإنسان نفسه ويفتقد حياته يجد أن اللسان هو من أهم أسباب أتعابه الروحية، سواء فى علاقته مع الله أو فى علاقته مع الناس.

من أجل ذلك نقول إن المزامير هى مدرسة الصلاة. من يستطيع أن يتذكر كم مرة قد أخطأ بلسانه؟ لولا أنه يصلى

ويقول: ضع يا رب حافظًا لفمى وبابًا حصينًا لشفتي. فعندما يصلى بهذا المزمور يتذكر هذه الأمور ويطلب من الله حفظًا ومعونة لكى يصمت ولا يتكلم بكلام الشر "لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْثُرُ فِي الْكَلاَمِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ أَيْضًا" (يع٣: ٢)..

إن لم نستطع أن نضبط ألسنتنا عن كلام الشر فلنصمت، من أجل ذلك يقول "إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ، لِيَكُنْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُسْرِعًا فِي الاِسْتِمَاعِ، مُبْطِئاً فِي التَّكَلُّمِ، مُبْطِئاً فِي الْغَضَبِ، لأَنَّ غَضَبَ الإِنْسَانِ لاَ يَصْنَعُ بِرَّ الله" (يع١: ١٩، ٢٠).

الكلام والصمت عند القديسين

كثيرًا ما مدح القديسون الصمت، فقال أحدهم: [*نجيذ كلأمزئم آمي زقص لم انثّ عكّ هلإي زقص لمك زئمن*]. وقال آخر: [*أدمك زئقة تتةذبل آزخذئ*] وقالوا أيضًا: [*لم آنخ ة آم تمعذ . نبكئ غئزتنك عجين لم خهل زقهةن*].. كما قال القديس مقاريوس الكبير للإخوة الذين كانوا معه: [*نعنعئ*

ⲱⲗϩⲃ]، فلما تساءلوا عما يفروا، وضع يده على فمه وقال: [**ⲗⲁⲙ ⲛ̀ⲥⲁⲛⲁⲩ**] أى من اللسان.

إذا كان الصمت غير مناسب لكل أحد، لكن الأفضل للإنسان أن يتكلم فى أمورٍ نافعة، فى أمور بنّاءة. كما أنه يمكن لكل إنسان أن يتحاشى الدخول فى أمورٍ لا تبنى السامعين. إن كنا نشغل وقتنا فى الأحاديث النافعة، سوف لا نجد وقتًا نتكلم فيه فى أمورٍ أخرى غير نافعة. ولكن مع كل هذا نصلى ونقول: ضع يا رب حافظًا لفمى وبابًا حصينًا لشفتي.

عندما خلق الله اللسان للإنسان؛ وضع عليه محرسين؛ الشفتين والأسنان. رغم أن العين من أخطر الأعضاء فى جسد الإنسان لكن موضوع عليها حارسًا واحدًا هو الجفنين، أما اللسان فعليه أبواب حصينة.. ويمكنك أن تفتح للإنسان جفون عينيه دون إرادته، أما فمه فلا يقدر أحد أن يفتحه بسهولة.. لذلك يقول المرتل: ضع يا رب حافظًا لفمى وبابًا حصينًا لشفتي. ولا تمل قلبى إلى كلام الشر.

ولا تمل قلبى إلى كلام الشر
فيتعلل بعلل فى الخطايا مع الناس فاعلى الإثم

إذا سمع الإنسان إلى كلام الأشرار ربما يميل قلبه إلى كلامهم.. لذلك يقول المرتل: ولا تمل قلبى إلى كلام الشر.

من فضلة القلب يتكلم الفم

عندما تحفظ فمك وشفتيك وتترك أذنيك لسماع الشر، يتحرك قلبك ويميل إلى الشر. حينئذ تفتح فمك وتنطق بكلامك الذى لا يتفق مع مشيئة الله.. يقول المزمور ضع حافظًا لفمى، وقلبى أيضًا ليتك تصونه لأن "مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ الْفَمُ" (مت١٢: ٣٤). لا يكفى أن تحفظ شفتيك وفمك، لكن ينبغى أن تحفظ قلبك أيضًا "**فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ**" (أم٤: ٢٣).

ربما يساعد الصمت على البعد عن خطايا اللسان، لكن الأفضل من سكوت الشفتين هو **سكوت القلب عن كلام الشر، هدوء القلب**، فلا يتعلل بعلل الخطايا مع الناس فاعلى الإثم أو يقبل مشورة الشياطين وفكرهم. فكلام الغضب ينشأ

من فكر الغضب، وكلام النميمة ينشأ من فكر النميمة، وكلام التعظم ينشأ من فكر الكبرياء.

من هم فاعلى الإثم ؟

هؤلاء هم الناس الأشرار أو هم الشياطين.. ففى كثير من المزامير عندما يتكلم عن الشياطين يذكرهم كأنهم بشر أو أعداء أو أناس أشرار.. بالنسبة لداود؛ كانت أغلب محارباته من البشر، أما بالنسبة للإنسان الروحى الذى يعيش بمزامير داود يشعر أن المحاربات هى من الشياطين. كل جيل له ظروفه الخاصة وله طبيعته وله حروبه.

عندما يقول داود النبى "فى أوقات الغدوات كنت أقتل جميع خطاة الأرض لأبيد من مدينة الرب جميع صانعى الإثم" (مز١٠١: ٨)[٢].. من هم خطاة الأرض فى حياتنا الذين نقاتلهم نحن، فنحن لا نقتل أحدًا من البشر.. داود كملك يخرج بمركبته يتجول فى المدينة ليقتل كل من يصنع الشر. أما أنا فما شأنى بهذا ؟!

[٢]) نصوص وترقيم مزامير السواعى مأخوذة من الأجبية.

يقول فى المزمور "أما **الملك** فيفرح بالله" (مز ٦٢: ١١). وأنت **تملك** على حواسك، وهيكل نفسك أنت تحرسه.. **لذلك فخطاة الأرض هم الخطايا والشرور التى تحترس منها أنت حتى لا تتسلل إلى حياتك.** كل يوم تصلى وتقول له يا رب ساعدنى لكى أبيد خطاة الأرض هؤلاء كلهم.

يقول الرسول "فَأَمِيتُوا اعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ، الطَّمَعَ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الأَوْثَانِ" (كو٣: ٥). فى كل هذه الخطايا يمسك الإنسان بسيف الروح الذى للملك داود ويبيدها، لكى يبيد من مدينة الرب أورشليم (التى هى نفسه) جميع فاعلى الإثم (التى هى الخطايا).

ربما يعترض البعض عما هو مكتوب فى المزامير وكيف نقول نحن أننا نقتل خطاة الأرض، وكأن هذه المزامير لا تصلح لنا.. كلا، فنحن فى أشد الحاجة إلى هذه المعانى، يجب أن نعرف طبيعة الحرب مع الشيطان، وأن هذا كلام الوحى وليس كلام داود النبى، وإذا قيل فهو كناية عن الأمور العتيدة فى الحياة الروحية.

عِلل الخطايا

كثير ما يلتمس الإنسان لنفسه الأعذار عن الخطايا التى يفعلها، يتعلل بعلل الخطايا، فيقول البعض أريد أن أفرج عن نفسى، أو كما يقولون [ساعة لقلبك وساعة لربك]، ويبدأ الإنسان يوجِد لنفسه المبررات لكى يخطىء. بل ربما يتجرأ البعض ليقول لا أستطيع أن أحتمل الحياة مع الله، أو يتذمر على حمل الصليب مدّعيًا ثقله، أو أن يهرب من حمل الصليب و**يتعلل بعلل فى الخطايا مع الناس فاعلى الإثم،** يقول يا رب اتركنى لأعمل الخطية وفيما بعد سوف أتوب.. **هذه هى العلل؛ حُجج يختلقها الإنسان لتبرير نفسه، أو لإسكات ضميره.**

وتحضرنى الذاكرة عن مشهد رأيته فى أحد الأفلام المسيحية القديمة يسمى "The Big Fisherman صياد الجليل" فيه شخصية بطرس قبل أن يدخل فى العمق مع الله. فى بداية حياته كان إنسانه العتيق مازال يتحرك فى داخله.. هذه القصة طبعًا ليس لها أصل من الكتاب المقدس، وربما تشير معنويًا إلى ما فعله فى بستان جثسيمانى وقت القبض على السيد

المسيح، إنما ما أريد أن أشير إليه هو مغزى روحى لطيف كمجرد رمز؛ فى مشهد من الفيلم قابله جماعة يهود من الكتبة والفريسيين، وتكلموا معه بكلام ضد السيد المسيح، وكان يقف معه اثنان من الرسل، وفى مشهد سابق كان السيد المسيح يعلّم الجموع قائلاً "أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ" (مت٥: ٤٤)، وكان بطرس يسمع هذا الكلام متعجبًا كيف يمكن للإنسان أن ينفذ هذا الكلام! حيث لم يكن الروح القدس قد حل على التلاميذ، فكان لا يزال يعيش بالمفاهيم القديمة وإن كان تعليم السيد المسيح جديد بالنسبة له.. لما سمع بطرس كلام اليهود الذين يهينون السيد المسيح، قال بطرس "سامحنى يا رب" وخلع عباءته وانهال عليهم ضربًا!! كيف تتوافق كلمة "سامحنى يا رب" مع عمله هذا، وكأنه يأخذ من الرب التصريح لكى يخطئ!!!.. **فى الحياة مع الله لا يوجد علل فى الخطايا.**

من العجيب أن يأتى إنسان ليأخذ حِلاً لكى يعمل خطية! كمن يسأل أن يكذب فى عمله، أو يكذب ويدّعى المرض لكى

يحصل على أجازة من العمل. أو آخر يسأل حِلاً لأمور مريعة تطن لها الآذان، مثل التصريح والحِل الذى يطلبه البعض فى مسألة الإجهاض. **أما نحن فنقول لا حُجج للخطية، لا تُوجِد لنفسك مبررات. لا تقول إن الظروف تحتم علىّ أن أخطيء. إذا أخطأت تُب، وارجع لكى تُمحى خطيتك.**

ولا أتفق مع مختاريهم

امنع رجلك عن مسالكهم

أى أننى لا أتفّق مع الناس الأشرار الخطاة، إن سألوك أن تتفق معهم "إِنْ قَالُوا: هَلُمَّ مَعَنَا لِنَكْمُنْ لِلدَّمِ. لِنَخْتَفِ لِلْبَرِيءِ بَاطِلاً. لِنَبْتَلِعْهُمْ أَحْيَاءً كَالْهَاوِيَةِ وَصِحَاحًا كَالْهَابِطِينَ فِي الْجُبِّ. فَنَجِدَ كُلَّ قِنْيَةٍ فَاخِرَةٍ نَمْلأَ بُيُوتَنَا غَنِيمَةً. تُلْقِي قُرْعَتَكَ وَسَطَنَا. يَكُونُ لَنَا جَمِيعًا كِيسٌ وَاحِدٌ. **يَا ابْنِي لاَ تَسْلُكْ فِي الطَّرِيقِ مَعَهُمْ. امْنَعْ رِجْلَكَ عَنْ مَسَالِكِهِمْ.** لأَنَّ أَرْجُلَهُمْ تَجْرِي إِلَى الشَّرِّ وَتُسْرِعُ إِلَى سَفْكِ الدَّمِ" (أم١: ١١- ١٥).. فى الترجمة البيروتية يقول نفس المزمور "وَلاَ آكُلْ مِنْ نَفَائِسِهِمْ" فمن عادة فاعلى الإثم أنهم عندما يصنعون اتفاقًا معى،

يعطوننى مكافأة مقابل أن أطيعهم. لكن المرتل يقول أنا لا أريد مكافأتهم هذه، لا أريد أجرة الإثم؛ أجرة الشر. لا أريد إغراءات للجسد

"**ولا أتفق مع مختاريهم**" تعطى معنى عدم الدخول فى اتفاق مع الأشرار. و"لا آكل من نفائسهم" أى النفائس المختارة التى هى أفضل من غيرها.

فليؤدبنى الصديق برحمة ويوبخنى

أى ابن لا يؤدبه أبوه

ابن الله يكون مستعدًا أن يقبل تأديبات الله.. يقول المصلى يا رب أدبنى أنت، فليؤدبنى المسيح إلهى، لكنى أعرف يا رب أنك رحيم فى تأديباتك. يقول له "أبلنى يا رب وجرِّبنى. نقِ قلبى وكليتيّ. لأن رحمتك أمام عينىَّ" (مز٢٥: ٢، ٣). أنا أعرف يا رب أنك ستؤدبنى وتنقينى؛ لكن برحمة. لا تهرب من التأديبات لأنه "إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ" (عب١٢:

٧، ٨). فأنت لا تطلب التأديب فقط، إنما تطلبه من الله وتقول له أنا يا رب لن أتعلل بعلل فى الخطايا مع أناس فاعلى الإثم بل أطلب تأديباتك لى، ولكنى أعلم جيدًا أنك سوف تؤدبنى برحمة ولن تسلّمنى إلى الموت "تأديبًا أدبنى الرب وإلى الموت لم يسلمنى" (مز١١٧: ١٨).

ومن الممكن أن تأتى التأديبات من أب الاعتراف، أو من المرشد الروحى، أو من المسئول الكنسى كالأب الأسقف مثلاً لخلاص الرعية.

زيت الخاطئ لا يدهن رأسى

والترجمة البيروتية تقول "لِيَضْرِبْنِي الصِّدِّيقُ فَرَحْمَةٌ وَلْيُوَبِّخْنِي فَزَيْتٌ لِلرَّأْسِ" أى أنه إن ضربنى الصديق فضربته لى رحمةً، وإن وبّخنى يكون توبيخه كدهنٍ لرأسى، أى كأنه أعطانى نعمة، إذ أن نتيجة توبيخه لى سوف تستقيم حياتى ويتنقى فكرى، وتحل النعمة علىَّ فأصير كمن دُهِن بزيتٍ. لذلك أنا أقبل التأديب لكى أصير موضعًا لحلول نعمة الله علىَّ. هذا ما تعنيه الترجمة البيروتية.

أما فى الترجمة القبطية الموجودة فى الأجبية فيقول: "**زيت الخاطىء لا يدهن رأسى**"، تمامًا مثل كلمة "لا آكل من نفائسهم" لا أريد من الخاطىء دهنًا أو طيبًا لكى أدهن رأسى، كمن يعطيك هذه الأشياء لكى تسير معه فى طريق الخطية والشر. أما أنت فلا تقبل منه ولتكن عطاياه لنفسه، ولا تقبل الرشوة لكى تصنع مشيئة الأشرار.

لا تدخل أجرة زانية ولا ثمن كلب

الكنيسة ترفض تقدمات الأشرار الذين لا يريدون أن يتوبوا، وفى نفس الوقت يطلبون أن تُقبَل تقدماتهم ليكون لهم مكانًا وافتخارًا فى الموضع المقدس. ترفض تقدمة الزناة أى أن أجرة الزانية مرفوضة فى قوانين الكنيسة، كما كان الحال فى العهد القديم فى شريعة موسى يقول "**لا تُدْخِل أُجْرَةَ زَانِيَةٍ وَلا ثَمَنَ كَلبٍ إِلى بَيْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ عَنْ نَذْرٍ مَا لأَنَّهُمَا كِلَيْهِمَا رِجْسٌ لدَى الرَّبِّ إِلهِكَ**" (**تث٢٣: ١٨**). لا تدخل أجرة زانية بمعناها المباشر.

أما كلمة "**ثَمَنَ كَلبٍ**" هذه فماذا تعنى؟!

كلمة "**كلب**" لها مدلولٌ روحى فى العهد الجديد؛ فيقال هذا عن الخاطىء الذى يرجع للخطية بشوق ونهم؛ مثلما قال السيد المسيح: "قَدْ أَصَابَهُمْ مَا فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ: **كَلْبٌ قَدْ عَادَ إِلَى قَيْئِهِ**، وَخِنْزِيرَةٌ مُغْتَسِلَةٌ إِلَى مَرَاغَةِ الْحَمْأَةِ" (٢بط٢: ٢٢).

ويقول سفر الرؤيا عن خارج المدينة المقدسة؛ "لأَنَّ خَارِجًا **الْكِلاَبَ** وَالسَّحَرَةَ وَالزُّنَاةَ وَالْقَتَلَةَ وَعَبَدَةَ الأَوْثَانِ، وَكُلَّ مَنْ يُحِبُّ وَيَصْنَعُ كَذِبًا" (رؤ٢٢: ١٥)، يقصد بالكلاب أولئك الناس محبى الخطية، لأن الكلب هو الحيوان الوحيد الذى يرجع ليأكل قيئه.. هكذا يعود الإنسان محب الخطية إلى خطيته بعد أن يتوب عنها ويستمر على هذا الحال، إذ أصبحت الخطية متغلغلة فى داخله بمحبة عميقة ولا يصنع أثمارًا تليق بالتوبة. مثل هذا لا تقبل الكنيسة تقدمته.. ومثل هؤلاء الناس نقول عنهم كل يوم فى الصلاة: **زيت الخاطىء لا يدهن رأسى.**

هناك فرق بين حيوان نظيف مثل الفرس إذا زلت قدماه فى الطين فينتفض سريعًا. وفرق بين الخنزيرة التى بعد أن تغسلها وتنظفها وتكاد تنتهى من تنظيفها، حتى تعود لتتمرغ فى

الوحل. من المحال أن توافق على استمرار حالة النظافة التى صارت لها، إذ لا تجد راحتها إلا فى تمرغها فى الوحل.

فهناك فرق بين من يكون الوحل بالنسبة له شيئاً غريبًا على طبيعته ويرفضه، وإن وقع فيه يقوم بسرعة "لاَ تَشْمَتِي بِي يَا عَدُوَّتِي. إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ. إِذَا جَلَسْتُ فِي الظُّلْمَةِ فَالرَّبُّ نُورٌ لِي" (مي٧: ٨)، وبين من يحب الوحل ويحب أن يتمرغ فيه. فالمقصود بأجرة الكلب هو تبرعات الإنسان المحب للخطية.

وبالطبع أولاد الله مستحيل أن يحبّوا الخطية بل يكرهوها ويعتبروها أنها غريبة على طبيعتهم ويغتسلون منها سريعًا.. لا يقبل الإنسان المحب لله أن يعيش محبًا للخطية ويتمرغ فيها.

يجب أن تسلك فى البر، فى الكمال ولا تقبل أن تدهن رأسك بزيت الخطاة.. لا تأكل من تقدماتهم ولا من أطعمتهم المختارة. بل تقول لا آخذ من زيتهم وطيبهم لكى أدهن رأسى لأنى معطَر برائحة المسيح الذكية. وإن أخذت من زيت الأشرار سوف ينطفىء سراجى..

الكنيسة كلها تقول: زيت الخاطئ لا يدهن رأسى وتقدمة الأشرار مكرهة للرب. وربما يحدث كوارث فى بعض الكنائس

كالحرائق التى تتلف أثاثها، ويرى البعض ويحزن على أموال الكنيسة، لكن ربما يكون قد دخلت فى التقدمات أشياء لا ترضى الله، لذلك فهو يحرقها ويبيدها.. من أجل ذلك نقول له: يا رب ما يحسن فى عينيك أفعل. ففى وسط التقدمات التى تقدم؛ ربما يوجد ما لا يرضى عنه الله. لذلك فهو ينظف المحلة المقدسة بطريقته الخاصة. ولكن ليس كل ضرر فى ممتلكات الكنيسة يكون هذا هو سببه، إذ ربما يكون حسدًا من الشيطان والرب قادر أن يعوّض هذا الضرر.

على أى الأحوال ينبغى أن نذكر دائمًا قول الإنسان البار أن "زيت الخاطئ لا يدهن رأسى".

الأفكار الشريرة

زيت الخاطىء أيضًا هو الأفكار الشريرة التى تخيّم فوق الرأس. فإن قبلت أفكار الخطية؛ أكون كأننى ارتضيت أن أتعطر بدهنه.. أما أنا فحين أرفض أفكار الشيطان؛ تتعطر رأسى بطيبٍ من قِبل الله "الطيب الكائن على الرأس" (مز١٣٢: ٢) طيب النعمة وعطية الروح القدس ومواهب

السماء. أنا لا أقبل زيت الشرير أو طيبه، لكنى أقبل الطيب الذى من الله "فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ" (١يو٢: ٢٠).

لأن صلاتى أيضًا بمسرة قد ابتلعت أقوياءهم عند الصخرة

مكتوب فى بعض النسخ: لأن صلاتى أيضًا "**ضد رغباتهم الشريرة**"، أى بدل كلمة "**بمسرة**" يقول "ضد رغباتهم الشريرة"، وهذا يعطى وضوحًا أكثر للمعنى. ويؤكد نفس هذا المعنى فى الترجمة البيروتية فيقول: "لأَنَّ صَلاَتِي بَعْدُ فِي مَصَائِبِهِمْ. قَدِ انْطَرَحَ قُضَاتُهُمْ مِنْ عَلَى الصَّخْرَةِ".

"ضد رغباتهم الشريرة" بنفس معنى "**فى مصائبهم**".. لكن من هم أولئك الذين يقصدهم؟

هم شاول الملك ورجاله، هؤلاء هم فاعلو الإثم الذين قال عنهم إن صلاتى ضد رغباتهم الشريرة، ذُهل أقوياؤهم عند الصخرة..

فمن الناحية الحرفية نجد فى حياة داود أن شاول الملك دخل المغارة التى كانت فى الصخرة لكى يستريح، وكان داود مختبئاً فى الداخل، وقال رجال داود له هذه هى فرصتك لتتخلص من شاول الملك كما هو مكتوب: "فَقَالَ رِجَالُ دَاوُدَ لَهُ: هُوَذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَالَ لَكَ عَنْهُ الرَّبُّ: هَئَنَذَا أَدْفَعُ عَدُوَّكَ لِيَدِكَ فَتَفْعَلُ بِهِ مَا يَحْسُنُ فِي عَيْنَيْكَ. فَقَامَ دَاوُدُ وَقَطَعَ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ سِرّاً. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ قَلْبَ دَاوُدَ ضَرَبَهُ عَلَى قَطْعِهِ طَرَفَ جُبَّةِ شَاوُلَ. فَقَالَ لِرِجَالِهِ: حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَعْمَلَ هَذَا الأَمْرَ بِسَيِّدِي بِمَسِيحِ الرَّبِّ، فَأَمُدَّ يَدِي إِلَيْهِ لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ" (١صم٢٤: ٤-٦) ولم يقبل داود أن ينتقم من عدوه، ولكن فقط قطع طرف جبته لتكون علامة على أنه كان بإمكانه أن يقتله ولم يمد يده إليه لأنه هو مسيح الرب، فهو يوقّر حتى ثيابه. وهذه خصال الأتقياء الذين يوقّرون ويحترمون الإنسان خاصة من كان معيَّنا من الله، بل يحترمون ملابسه، ويحترمون صورته، ويحترمون حاجاته.

ونتذكر عندما تجاسر شاول ومد يده وأمسك صموئيل بذيل جبته فانمزقت جبة رجل الله "فَقَالَ لَهُ صَمُوئِيلُ: يُمَزِّقُ الرَّبُّ

مَمْلَكَةَ إِسْرَائِيلَ عَنْكَ الْيَوْمَ وَيُعْطِيهَا لِصَاحِبِكَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ" (١صم١٥: ٢٨). **وهذا يعلمنا احترام رجال الله، ويعلمنا احترام مسيح الرب، ليس فقط احترامه هو وإنما وحتى الثياب التى يلبسها.**

هذه من الناحية التاريخية؛ التى فيها يتكلم داود عن صراع بينه وبين هؤلاء الأقوياء أى رجال شاول الملك، مثل أبنير ابن نير قائد الجيش الذى كان يطارد داود مع شاول مريدًا أن يقتله. فخرج شاول وأخذ معه ثلاثة آلاف رجل من رجاله الأقوياء. أما داود فكان مسكينًا ساكنًا فى البرية "هُوَذَا دَاوُدُ فِي بَرِّيَّةِ عَيْنِ جَدْيٍ" (١صم٢٤ : ١).

ذُهل أقوياؤهم عند الصخرة

فى بعض الترجمات نجد بدلاً من عبارة "قد اُبتلعت أقوياؤهم عند الصخرة"، عبارة "**ذُهل أقوياؤهم عند الصخرة**" ما الذى جعلهم ذُهلوا؟.. إذ رأوا داود فى يده علامة على أنه كان بإمكانه أن يقتل شاول الملك ولم يقتله، فذُهلوا من هذا الفعل العجيب، وذُهلوا من قوة هذا الإنسان الذى استطاع أن يهزم

رغباته الخاصة وينتصر على نزعاته الداخلية فى قوة عجيبة، فاستطاع أن يطلق غريمه بعد أن وقع فى يده!!

وكما ذُهلوا من تصرف داود، ذُهلوا أيضًا من عناية الله بداود وحراسته له، إذ لم يستطع شاول أن يمد إليه يدًا، وعاد مهزومًا من المعركة يحمل الخزى أيضًا وليس الهزيمة فقط. حتى أن شاول نفسه اعترف وقال لداود "أَنْتَ أَبَرُّ مِنِّي لأَنَّكَ جَازَيْتَنِي خَيْرًا وَأَنَا جَازَيْتُكَ شَرّاً" (١صم٢٤: ١٧).

وفى نفس هذا الموقف كان شاول يقول له: "أَهَذَا صَوْتُكَ يَا ابْنِي دَاوُدُ؟ وَرَفَعَ شَاوُلُ صَوْتَهُ وَبَكَى.. وَالآنَ فَإِنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ تَكُونُ مَلِكًا، وَتَثْبُتُ بِيَدِكَ مَمْلَكَةُ إِسْرَائِيلَ" (١صم٢٤: ١٦، ٢٠).

فكثيرًا ما تكلم داود فى مزاميره عن الأحداث التى كانت تمر فى حياته الشخصية.. فإن المزمور كان يتفاعل مع اختباراته الشخصية من خلال علاقته مع الله.

القديسون كوسائل إيضاح

ربما يتساءل البعض ما لى وحياة داود وهل أنا داود؟.. ونرد على ذلك ونقول إن رجال الله القديسون هم لنا كوسائل إيضاح توضّح لنا تعامل الله مع البشر. لقد سمح الله لداود أن يمر فى حياته بهذه الاختبارات لتكون نغمات تعبّر عن حياة النفس البشرية. ولتسجيل أقوال وانفعالات تعبّر عن طبيعة كفاح النفس خلال رحلة غربتها على الأرض حتى تصل إلى الأبدية. لم تكن أحداثًا مصادفة فى حياة داود وأمثاله، إنما كانت عبارة عن تدبير إلهى محكم من خلاله يقدم لنا كلمات تصلح لحياتنا الروحية فى كل زمان.

لماذا ضد رغباتهم الشريرة ؟

كان داود يصلى قائلاً انقذنى يا رب، بينما أعداؤه يريدون قتله. فكونه يصلى كأى إنسان ويقول للرب انقذنى؛ فهذه الصلاة هى ضد رغباتهم الشريرة إذ هى تعطيل لمخططهم حتى لو لم يقصدهم فى صلاته "**لأن صلاتى أيضًا ضد رغباتهم الشريرة**". ولكن صلاته بالنسبة لهم فى كل اتجاهاتها

ستكون أيضًا ضدهم، فإن صلى أحد وسمع صلاته أحد الأشرار، ربما يظن أنه يصلى ضده، وبهذا تتحول صلوات الأبرار إلى نار تحرق كل مكايد الأشرار وتدابيرهم.

وفى الترجمة البيروتية يقول: "لأن صلاتى بعد فى مصائبهم" أى أن داود يقول صلاتى بالنسبة لهم هى مصيبة. أو أن مصائبهم يمكن أن تنتج عن صلاتى، أو صلاتى تتفاعل مع مصائبهم، أى أن صلاتى كائنة فى مصائبهم، أو مصائبهم هى بسبب صلاتى.. أو أن صلاتى ظهرت فى مصائبهم حتى ولو كنت لم أقصد لهم المصيبة. ولكن لأن رغباتهم شريرة فقد حلت بهم المصائب.

مصارعتنا ليست مع لحم ودم

بالنسبة لحياتنا الروحية مع الله. ليس لنا أعداء من البشر نكرههم، بل بالعكس نحن نحبهم ونصلى لأجلهم، إنما حربنا الحقيقية هى مع الشياطين، وكل البشر الأشرار الذى يحركهم هو إبليس. لذلك نحن لا نكره أحدًا لأن أولئك هم أيضًا ضحايا مساكين يغويهم الشيطان.

فكلما نذكر كلمة الأشرار أو الأعداء فى صلواتنا نقصد الشياطين ومؤامراتهم.

وحتى لو كنا نصلى أحيانًا أن يبدد الله مشورة الأشرار بمعنى إذا كانوا بشرًا أشرارًا فلا نقصد أذيتهم، لكن نصلى أن تتبدد مشورتهم فقط أى أن تفشل مكائد الشياطين من خلالهم، ولو أمكن أن يتوبوا فإن هذا يصير مصدر فرح وتعزية للمؤمنين..

لاشك أن عدو الخير يفزع من صلاة الإنسان المحب لله؛ ترتعب الشياطين من هذه الصلوات، وبالأخص مزامير داود النبى لأنها صلوات قد أوحى بها الروح القدس، وتحمل نبوات قوية عن السيد المسيح. وعندما كان يصلى بها داود نفسه فى أيام حياته، كانت الشياطين تخضع أمامها وتنهزم أمام قوتها بصفة مؤقتة. وحيث كان داود النبى رمزًا للسيد المسيح (مسيح الرب) الذى غلب الشيطان؛ فصلاته ضد رغباتهم الشريرة.

لذلك عدو الخير الشيطان يسعى لمحاولة إيقاف صلاتك بأى وسيلة. ويأتى بك بمعطلات كثيرة للصلاة، حتى ولو فشلت

كل حيلة ووسيلة.. من الممكن أن يصيبك بمرض لكى لا تصلى، وليس مرض بسيط إنما يصيبك بحمى مفاجأة كما فعل مع الآباء القديسين من قبل. وكان القديس يقف للصلاة وهو مصاب بالحمى مفكرًا فى الموت، قائلاً ربما هذه الحمى تقضى بموتى؛ لذلك فلأقم لأصلى قبل أن أموت ولا تكن لى فرصة أخرى. ولا يكاد يقف ليصلى حتى يرى الشيطان أن حيلته لم تنفع، بل على العكس تؤول بالقديس إلى المجد والأكاليل لأنه يصلى وهو فى الحمى. فتتركه الحمى ويعود إلى حالته الطبيعية... حرب بكل الوسائل.

ربما لم نصل نحن لهذا المستوى فى محاربة الشيطان لصلواتنا، لكن هذا يعطينا فكرة عن مدى كراهية الشيطان لحياة الصلاة.. كقول المزمور "**لأن صلاتى أيضًا ضد رغباتهم الشريرة**".

الصلاة هى دخول إلى الحضرة الإلهية

لاشك أن الصلاة هى معونة إلهية ترفع الإنسان من حياة الجسد إلى حياة الروح. وهى معونة إلهية للانتصار على

الخطية، وهى فرصة للدخول إلى شركة عميقة مع الله، والتمتّع بإعلاناته، وتذوق محبته، ومعرفة صفاته الإلهية الجميلة.

وفيها تنقية للنفس وتحرير الإنسان من سلطان الخطية ومن كل رباطات الشياطين. فهى دخول إلى حضرة الملك، وإذا دخلنا إلى حضرة الملك تُطرد الشياطين، لأننا دخلنا إلى القدس فى الداخل. ولهذا يحاول الشيطان أن يحارب صلاتنا فى كل وقت.

وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْل تَقْوَاهُ

بالنسبة للسيد المسيح؛ قد تعنى هذه الكلمات ما هو أبعد بكثير مما تعنى بالنسبة لنا، فيقول سُمع له من أجل تقواه "الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ" (عب٥: ٧)، أى أن السيد المسيح كنائب عن البشرية ومن حيث إنسانيته كان يصرخ للآب لكى يخلصه من الموت!!.

أما بالنسبة لنا؛ نحن نطلب الخلاص من الهلاك الأبدى ومن الخطية. بينما السيد المسيح غير محتاج إلى الخلاص لأن ناسوته بلا خطية، لكنه يحتاج إلى معونة الآب السماوى إذ أخلى نفسه من أجلنا نحن "مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب٥: ٨). لأنه كنائب عنا حمل خطايانا فى جسده، وكنائب عنا ذاق الموت بنعمة الله لأجل كل واحد (انظر عب٢: ٩). فهو لأجلنا يصرخ طالبًا الخلاص، ولم يكن هو مستوجبًا للموت. فبلساننا هو يتكلم ويقول إلهى وصخرة خلاصى، الله هو صخرة الخلاص.

إِلَهِى وَصَخْرَةُ خَلاَصِى

ترى الشياطين أننى إنسان مسكين وضعيف، ثم يروا أن هذا الإنسان يدخل إلى الصخرة أى المسيح فيذهلوا من حماية المسيح للنفس ودفاعه العجيب عنها "**ذُهل أقويائهم عند الصخرة**".

لنتذكر قول المزمور عن السيد المسيح شخصيًا "هُوَ يَدْعُونِي أَبِي أَنْتَ. **إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي**. أَنَا أَيْضًا أَجْعَلُهُ بِكْرًا أَعْلَى

مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ" (مز ٨٩: ٢٦، ٢٧)، هذا الكلام يمكن أن ينطبق على داود، ولكنه بالأولى كثيرًا ينطبق على مسيح الرب السيد المسيح نفسه.

ربما تتعجب وتقول نحن نعلم أن صخرة الخلاص هو المسيح، فكيف يقول المسيح للآب أنت صخرة خلاصى؟! فى الحقيقة أن السيد المسيح كممثل لنا وكنائب عنا وكرأس للكنيسة، فكل عمله هو أن يوصلنا إلى أحضان الآب السماوى، ويدخلنا إلى معرفة الله الحقيقية. لذلك اعتبر أن الآب السماوى هو صخرة خلاصه.

لكن كيف صنع الرب الخلاص لأجلنا؟ ذلك من خلال عمل السيد المسيح.. فنحن ننظر للمسيح أنه هو الصخرة كما يقول بولس الرسول: "وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيّاً لأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ **صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَتِهِمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتِ الْمَسِيحَ**" (١كو ١٠: ٤).

وإذ نرى محبة الله معلنة على الصليب نتغنى مع المرنم ونقول: "أُحِبُّكَ يَا رَبُّ يَا قُوَّتِي. **الرَّبُّ صَخْرَتِي وَحِصْنِي**

وَمُنْقِذِي. إِلَهِي صَخْرَتِي بِهِ أَحْتَمِي. تُرْسِي وَقَرْنُ خَلاَصِي وَمَلْجَإِي" (مز١٨: ١، ٢)، أنا أقول إلهى صخرتى ترسى وقرن خلاصى.

وعندما تكلم الروح القدس على لسان زكريا الكاهن قال "وَأَقَامَ لَنَا **قَرْنَ خَلاَصٍ** فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ" (لو١: ٦٩) فلاشك أن السيد المسيح هو **قرن الخلاص**، فعندما يقول المرتل إلهى صخرتى وترسى وقرن خلاصى فهو يتكلم عن السيد المسيح.

وكما أن الله الآب هو الصخرة، فإن السيد المسيح أيضًا ابن الله هو الصخرة التى نحتمى بها من كل سهام إبليس الملتهبة نارًا. صخرتى وحصنى ترسى وقرن خلاصى وملجأى.

ذهل الشيطان أمام الصخرة

ذُهل أقوياؤهم عند الصخرة أو اُبتلعت أقوياؤهم عند الصخرة، أى تأتى الشياطين لكى تلتف حول النفس البشرية ظانين أنهم أوشكوا أن يلتهموها كما هو مكتوب "قَالَ الْعَدُوُّ: أَتْبَعُ أُدْرِكُ أُقَسِّمُ غَنِيمَةً! تَمْتَلِئُ مِنْهُمْ نَفْسِي. أُجَرِّدُ سَيْفِي. تُفْنِيهِمْ يَدِي" (خر١٥: ٩) فالغنيمة على مرمى اليد، فهو يكاد أن

يلتهم النفس، وإذ يهجم ليفترس؛ يجد الصخرة، وإذ يجرد سيفه ليضرب فتأتى ضربته فى الصخرة وينكسر سيفه فيشعر بذهول.

ربما يبدو هذا الكلام عجيبًا بالنسبة لإنسان لم يدخل بعد فى محاربات الشياطين، أو فى الحرب الروحية، أو لإنسان كسلان. أما الإنسان المنتصب للجهاد والحرب ضد الشياطين يقول: كادوا يفنوننى على الأرض، "**الفخ انكسر ونحن نجونا**" (مز١٢٣: ٧). إنسان يعرف معنى الإنقاذ الإلهى والخلاص والحماية من تعقب الشيطان وهجومه عليه.

ذُهل أقوياؤهم عند الصخرة، صاروا مذهولين من حماية المسيح لهذه النفس..

ذهل الشيطان أمام صليب المسيح

كان فى تصور الشيطان أن الصليب هو نهاية الصراع بينه وبين يسوع الناصرى، فكانت المفاجأة العجيبة أن هذه كانت نهاية الصراع، لكن ليس لصالحه ولكن ضده وعليه.

وأصبح الصليب هو رمز الغلبة والانتصار على الشيطان. حتى أن الشياطين صارت تفزع من رشم علامة الصليب، لأنه يذكرهم بالهزيمة المُرّة التى نزلت عليهم أمام صليب المسيح.

كل تعب الشياطين آلاف السنين السابقة والقادمة أبطلها السيد المسيح على الصليب. كل مؤامرات الشيطان التى يخططها للجنس البشرى؛ انتهت وقدّم السيد المسيح خلاصًا لملايين من البشر الذين يؤمنون به.

كان السيد المسيح على الصليب قويًا فى محبته، قويًا فى بذله، قويًا فى عطائه، قويًا فى احتماله، قويًا فى طاعته. ولم يحتمل الشيطان كل هذا الحب وكل هذا البذل، وكل هذا العطاء، وكل هذا الاحتمال، وكل هذه الطاعة للآب السماوى التى أرضت قلب الآب وأوفت العدل الإلهى حقه. لم يحتمل الشيطان كل هذا، فخرَّ صريعًا أمام قوة الصليب.

ذهل الأقوياء أمام القبر الفارغ

عند القبر حيث دفن ربنا يسوع المسيح ذهل أقوياؤهم. كان القبر منحوتًا فى صخرة، وكان رمزًا لقضاء الموت

بالنسبة لكل البشر، ورمزًا للهاوية والظلمة الأبدية. وجاءت القيامة ففجرت النور، وبددت الظلمات، ونزعت الحزن، وأرهبت الحراس بواسطة الملاك النورانى الذى دحرج الحجر "فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ" (مت٢٨: ٤).. **ذهل أقوياؤهم عند الصخرة..**

وكل الذين نظروا داخل القبر لم يجدوا إلا قبرًا فارغًا لأن سلطان الموت كان قد انتهى إلى الأبد "**أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ غَلَبَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟**" (١كو١٥: ٥٥). **اندحرت مؤامرات رؤساء الكهنة كلها بقيامة السيد المسيح.** "**ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ**" (**١كو١٥: ٥٤**) ابتلعوا من الخزى، ابتلعت كل مؤامراتهم.

فلنتذكر دائمًا أن السيد المسيح بصليبه وبقيامته هو صخر الدهور الذى عنده تتحطم كل مؤامرات الشياطين وكل محارباتهم، ونقول للخطية يا بنت بابل الشقية "طوبى لمن يمسك أطفالك ويدفنهم عند الصخرة" (مز١٣٦: ٩) أطفالك أى الخطايا المتولدة من خطية الكبرياء التى ترمز إليها بابل، ويدفنهم عند الصخرة.

يسمعون كلماتى لأنهم استلذوا

وفى الترجمة البيروتية يقول: "وَسَمِعُوا كَلِمَاتِي لأَنَّهَا لَذِيذَةٌ". كمن يفلح ويشق الأرض تبددت عظامنا عند فم الهاوية.

هناك اختلاف بسيط فى النصوص المتنوعة من الترجمات، لكن المهم هو المعنى المقصود يسمعون كلماتى لأنهم استلذوا أو يسمعون كلماتى اللينة، أو سمعوا كلماتى لأنها لذيذة.

بعد أن ذهل هؤلاء الأقوياء سمعوا داود النبى يقول كلامًا عجيبًا فيقول لشاول "وَرَاءَ مَنْ خَرَجَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ؟ وَرَاءَ مَنْ أَنْتَ مُطَارِدٌ؟ وَرَاءَ كَلْبٍ مَيِّتٍ! وَرَاءَ بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ!" (١صم٢٤: ١٤) لماذا كل هذا الجيش؟!

هذا هو داود النبى الذى استحق من أجل ذلك أن يقول عنه الرب "وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي" (أع١٣: ٢٢). يقول الكتاب عن هذه الواقعة: "نَادَى وَرَاءَ شَاوُلَ: يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ. وَلَمَّا الْتَفَتَ شَاوُلُ إِلَى وَرَائِهِ خَرَّ دَاوُدُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ. وَقَالَ دَاوُدُ لِشَاوُلَ: لِمَاذَا تَسْمَعُ كَلاَمَ النَّاسِ الْقَائِلِينَ: هُوَذَا دَاوُدُ يَطْلُبُ

أَذِيَّتَكَ. هُوَذَا قَدْ رَأَتْ عَيْنَاكَ الْيَوْمَ هَذَا كَيْفَ دَفَعَكَ الرَّبُّ لِيَدِي فِي الْكَهْفِ، وَقِيلَ لِي أَنْ أَقْتُلَكَ، وَلَكِنَّنِي أَشْفَقْتُ عَلَيْكَ وَقُلْتُ: لاَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى سَيِّدِي لأَنَّهُ مَسِيحُ الرَّبِّ هُوَ. فَانْظُرْ يَا أَبِي.. وَأَنْتَ تَصِيدُ نَفْسِي لِتَأْخُذَهَا" (١صم٢٤: ٨-١١)، كلام عجيب. هذه الواقعة هى التى توضح عبارة: **يسمعون كلماتى لأنها لذيذه أو كلماتى اللينة.**

لا أمد يدى إلى سيدى لأنه مسيح الرب هو، رغم أن شاول كان يستحق كلمات تعبر عن مدى قساوته وكبريائه.

"فَانْظُرْ يَا أَبِي، انْظُرْ أَيْضًا طَرَفَ جُبَّتِكَ بِيَدِي. فَمِنْ قَطْعِي طَرَفَ جُبَّتِكَ وَعَدَمِ قَتْلِي إِيَّاكَ اعْلَمْ وَانْظُرْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِي شَرٌّ وَلاَ جُرْمٌ، وَلَمْ أُخْطِئْ إِلَيْكَ، وَأَنْتَ تَصِيدُ نَفْسِي لِتَأْخُذَهَا.. وَرَاءَ مَنْ خَرَجَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ؟ وَرَاءَ مَنْ أَنْتَ مُطَارِدٌ؟ وَرَاءَ كَلْبٍ مَيِّتٍ! وَرَاءَ بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ!. فَيَكُونُ الرَّبُّ الدَّيَّانَ وَيَقْضِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَيَرَى وَيُحَاكِمُ مُحَاكَمَتِي وَيُنْقِذُنِي مِنْ يَدِكَ" (١صم ٢٤: ١١-١٤).. إنسان متواضع.

كلماتى اللينة هى كلمات الاتضاع

كثير من القديسين يسلكون باتضاع حتى مع الشياطين.. "يسمعون كلماتى اللينة".

نسمع فى سيرة القديس الأنبا أنطونيوس، عندما كانت تحاربه الشياطين فكان يقول لهم: [يا أقوياء لماذا تقومون علىّ وتكثرون وأنا أضعف من أصغركم]، فكان يتواضع أمام الشياطين ويقول لهم أصغركم يكفينى ويكفى لمحاربتى. ولا يلزم كل هذه الجيوش الجرارة.

"كلماتى اللينة" هى كلمات الإتضاع والمسكنة، كان الشيطان يحترق أمام إتضاع الأنبا انطونيوس ولم يقدر أن يقوى عليه.

إذا كان إنسان يخرج شيطانًا، فإن شعر فى قلبه أن له سلطان عليه ولا بد أن يخرجه، أو إن كان يستخف بقوة الشياطين شاعرًا فى نفسه أنه أقوى من جمهرة من الشياطين ومن لجيئون أيضًا؛ فلن يمكنه إخراج الشياطين. وإنسان آخر يصلى ويقول يا رب أنا لا استحق أن أصلى من أجل إخراج هذه الشياطين لأنى إنسان خاطئ وضعيف ومسكين، وأشكرك

يا رب لأنك سترتنى ولم تجعل هذه الشياطين تكشفنى وتفضح خطاياى أمام الناس. فمن أجل هذه المشاعر المتضعة يُخرج الرب هذه الشياطين إن شاء الرب أن يعطيه هذه النعمة أو هذه الموهبة.

أتوا للقديس سيرابيون بإنسان مريض أو مصروع وكانوا يعلمون إنه إنسان متضع لا يقبل أن يظهر عمل المعجزات، فوضعوا المريض أمام باب الكنيسة قبل دخوله إليها، فناداه القديس دون أن يعلم وأقامه فانتصب الرجل وعاد صحيحًا بدون أى مجهود من القديس إنما بسبب اتضاعه.

وعندما أبصر القديس الأنبا أنطونيوس البرية مملوءة فخاخًا شيطانية أى محاربات متنوعة صرخ وقال: "آه يا رب من يفلت من كل هذه الفخاخ". فأتاه صوت من السماء قائلاً "المتواضعون يفلتون منها".

كلماتى اللينة ليس معناها أن يدخل الإنسان فى صداقة مع الشياطين، ولكن هى التى ليس فيها جسارة الكبرياء بل ليونة المتضع.

و"كلماتى لأنها لذيذة" فليس ألذ من كلمات الاتضاع. ولكن بالرغم من أنها لذيذة ولينة إلا أنها تحرق الشياطين. من أجل ذلك يكمل ويقول: **مثل شحم الأرض انشقوا على الأرض. تبددت عظامهم عند الجحيم.**

مثل شحم الأرض انشقوا على الأرض

فإذ تبددت قواهم انسكبوا على الأرض وفقدوا كل قوتهم وانحلت قوتهم، انشقوا على الأرض. كما لو شققت زقاقًا فينسكب على الأرض ولا تبقى له قوة أو قيمة أو فاعلية.

عند حدوث حرب فإذا قتل الجندى غريمه فى المعركة، كانت أحشاؤه تخرج وهذا ما يطلق عليه انشق على الأرض، أى أن أحشاءه خرجت وانسكبت. ونفس هذا التعبير مكتوب عن يهوذا الاسخريوطى فقال عنه معلمنا بطرس الرسول "وَإِذْ سَقَطَ

عَلَى وَجْهِهِ **انْشَقَّ مِنَ الْوَسَطِ فَانْسَكَبَتْ أَحْشَاؤُهُ كُلُّهَا**" (أع١: ١٨).

وكما ينطبق هذا الكلام على يهوذا الاسخريوطى، يمكن أن ينطبق أيضًا على كل تآمر الأشرار وكل مؤامرة الشياطين.

تبددت عظامهم عند الجحيم

ينطبق هذا الكلام على يهوذا، مثلما قيل عنه "لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ الْمَزَامِيرِ: لِتَصِرْ دَارُهُ خَرَابًا وَلاَ يَكُنْ فِيهَا سَاكِنٌ وَلْيَأْخُذْ وَظِيفَتَهُ آخَرُ" (أع١: ٢٠).

نوع من فناء القوة ورمز للهلاك الأبدى. لأن فى المفهوم الكتابى حتى أولئك الذين نزلوا إلى القبر، يقول فى سفر حزقيال عن العظام اليابسة "هَكذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهَذِهِ الْعِظَامِ: هَئَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيُونَ. وَأَضَعُ عَلَيْكُمْ عَصَبًا وَأَكْسِيكُمْ لَحْمًا وَأَبْسُطُ عَلَيْكُمْ جِلْدًا وَأَجْعَلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ. فَتَنَبَّأْتُ كمَا أُمِرتُ. وَبَيْنَمَا أَنَا أَتنَبَّأُ كَانَ صَوْتٌ وَإِذَا رَعْشٌ فَتَقَارَبَتِ الْعِظَامُ كُلُّ عَظْمٍ إِلَى عَظْمِهِ.

ونَظَرْتُ وَإِذَا بِالْعَصَبِ وَاللَّحْمِ كَسَاهَا، وبُسِطَ الْجِلْدُ علَيْهَا مِنْ فَوْقُ، وَلَيْسَ فِيهَا رُوحٌ.. فَتَنَبَّأْتُ كَمَا أَمَرَني، فَدَخَلَ فِيهِمِ الرُّوحُ، فَحَيُوا وَقَامُوا عَلَى أَقدَامِهِمْ جَيْشٌ عَظيمٌ جِدّاً جِدّاً" (حز ٣٧: ٥-١٠).

هذا يعنى أن حتى العظام التى بليت بسبب الموت سوف تقوم مرة أخرى، أما عظام الأشرار فتتبدد.. أين تتبدد؟ عند الجحيم حتى ولو قامت فإلى موت أبدى. تَجمُّع العظام هو رمز لقيامة قوية، وتبدُد العظام رمز لقيامة هى والعدم سواء قيامة الضعف قيامة الدينونة.

لأن عيوننا إليك يا رب

أعين الكل تترجاك

يقول السيد الرب "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية" (مز ١١: ٥). فنحن يا رب عيوننا إليك، "**إليك رفعت عينيَّ يا ساكن السماء**، فها هما مثل عيون العبيد إلى أيدى مواليهم.. كذلك **أعيننا نحو الرب إلهنا حتى يتراءف علينا**" (مز ١٢٢: ١،

٢). نحن عيوننا إليك يا رب، وهؤلاء الأعداء ينهزمون. لذلك فمن يمارس حياة الصلاة بإيمان وثقة تنهزم أمامه الأعداء والشياطين.

يا رب عليك توكلت فلا تقتل نفسى

هل الله يقتل أحدًا؟ كلا.. لا تقتل نفسى أى لا تسلمنى إلى من يقتلوننى. فبالنسبة لداود معناها لا يسلمه إلى أيدى أعدائه؛ إلى أيدى شاول الملك ورجاله. وأما بالنسبة لنا لا يسلمنا الرب إلى الشياطين لكى يقتلوا أنفسنا بالخطية.

لا تقتل نفسى أى لا تسمح بهلاكى. "أية منفعة من دمى إذ هبطت إلى الجحيم، هل يعترف لك التراب أو يخبر بحقك" (مز٢٩: ٩). ما الفائدة يا رب إن أنا هلكت؟ إن الهالك لا يشكرك، ولا يسبحك، ولا يعترف بحقوقك، فما المنفعة إذا هلكت؟ خلصنى لكى أشترك فى تسبيحك مع القديسين.

احفظنى من الفخ الذى قد نصبوه لى
ومن شكوك فاعلى الإثم

هناك فخاخ كثيرة مهيأة للمجاهدين. لا تظن أن حياتك ستمر بدون فخاخ شيطانية. لكن اصرخ إليه قائلاً: **احفظنى من الفخ الذى قد نصبوه لى.**

وكيف يحفظك؟ عندما تكون حياتك مثل داود ممتلئة بالاتضاع وتقول ما معناه؛ أنا كلب ميت وبرغوث واحد، أنا لا شىء. فلابد أن يخاطب الإنسان نفسه قائلاً: "أنا ما أنا ومن يحسبنى شيئًا" مثلما أوصى الآباء القديسون.

الإنسان الذى يحتقر نفسه ويوبّخها، هذا الإنسان يخلّصه الرب من الفخاخ الشيطانية كما يقول الكتاب "وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً" (١بط٥: ٥). لكن "تَأْتِي الْكِبْرِيَاءُ فَيَأْتِي الْهَوَانُ وَمَعَ الْمُتَوَاضِعِينَ حِكْمَةٌ" (أم١١: ٢). "قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ" (أم١٦: ١٨).

هذا يبين أن الانتصار على الشياطين ليس لمهارة شخصية فى الإنسان، بقدر ما هو معونة من الله وحفظ "احفظنى يا الله لأنى عليك توكلت" (مز١٥: ١).

لتصلِ وتطلب من الله أن يحفظك، تطلب باتضاع، فتأتيك قوة المعونة الإلهية "الفخ انكسر ونحن نجونا".

أشراك فاعلى الإثم

"شكوك فاعلى الإثم"، ومكتوبة فى الترجمة البيروتية "**أَشْرَاكِ** فَاعِلِي الإِثْمِ". كلمة "أشراك" أوضح فى معناها وهى مرادفة لكلمة "فخ" أو "فخاخ" الواردة فى العبارة السابقة لها.

وإن كانت بمعنى شكوك فلا شك أن الشيطان يبذر شكوكه وعثراته فى قلب الإنسان. وهذه الشكوك هى فخ للإنسان أيضًا هى شرك. يشككه فى محبة الله وهذا فخ. وهذه كلها شراك. وهكذا يشككه فى أهمية حياة القداسة والطهارة وهذا أيضًا فخ. وهكذا يشككه فى أهمية الوصية أو فى قوتها وفاعليتها. فكلمة أشراك أو فخاخ أو كلمة شكوك تؤدى نفس المعنى.

يسقط الخطاة فى شباكهم
وأكون أنا وحدى حتى يجوز الإثم

يسقط الخطاة فى شبكة، أى أن الشر الذى يصنعونه يسقطون فيه، مثل المَثل القائل: [من حَفَرَ حُفرةً لأخيه وقع فيها].

وإن كان الخطاة بمعنى الشياطين، فتعنى يسقط الشياطين فى شباكهم، ففى نفس الفخ الذى يعدّه لك الشيطان فيه يسقط. كيف ذلك؟ إذا نصب الشيطان لك أى فخ من فخاخه الشريرة، وأنت انتصرت عليه بقوة المسيح إلهنا، يقع الشيطان فى الفخ..

وما هو هذا الفخ؟

هو أنه تجاسر أن يجرب أحدًا من أولاد الله فخرج من المعركة مهزومًا يحمل الخزى. لذلك عندما كان الشيطان يظهر للقديسين، كانوا يهزمونه باتضاعهم ومحبتهم للمسيح، فكان يتحول إلى رائحة كريهة. بعد أن كان فى صورة امرأة جميلة

فاتنة يتحول إلى منظر كئيب مرعب. منظر عبد أسود مريع ورائحته غير مقبولة على الإطلاق. هذا يوضح معنى عبارة يسقط الخطاة فى شباكهم..

إن الشيطان فيما هو يريد أن يمجد نفسه صار محتقرًا ومطروحًا. فيما يريد أن يصير محبوبًا صار مكروهًا.

أكون أنا وحدى

فى الترجمة البيروتية "لِيَسْقُطِ الأَشْرَارُ فِي شِبَاكِهِمْ حَتَّى أَنْجُوَ أَنَا بِالْكُلِّيَّةِ" أى أنجو نجاة كاملة.

"أكون أنا وحدى"، وحدى بمعنى أن أكون منفصلاً عن فخاخ الشياطين، أى أكون بمفردى، فبينما المعركة مستمرة لكنها لا تمس كيانى.

"أكون أنا وحدى" أى أكون بعيدًا عن الفخاخ، بمعنى أن أكون فى أمان حتى يعبر الإثم. حتى أنجو أنا بالكلية، أى تنتهى كل محاربات الشياطين بكل أنواعها وبكل فخاخه المتلونة.

فى الحقيقية إن الشياطين ترتعب من كلمات هذه المزامير

لأنها عبارة عن صواريخ نارية موجهة إلى الشياطين

تهزم طغيانهم وتبطل تآمرهم

لإلهنا كل مجد وكرامة

من الآن وإلى الأبد آمين

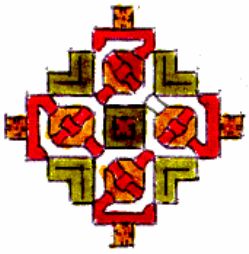

المزمور المائة والأربعون

يا رب إليك صرختُ فاستمع لي. أنصت إلي صوت تضرعي،
إذا ما صرخت إليك. لتستقم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن
رفع يدي كذبيحة مسائية. ضع يا رب حافظاً لفمي، وباباً حصيناً
لشفتي، ولا تمل قلبي إلي كلام الشر، فيتعلل بعلل في الخطايا
مع الناس فاعلي الإثم، ولا أتفق مع مختاريهم. فليؤدبني الصديق
برحمة ويوبخني. زيت الخاطئ لا يدهن رأسي. لأن صلاتي أيضاً
بمسرة قد ابتلعت أقوياءهم عند الصخرة. يسمعون كلماتي
لأنهم استلذوا. مثل شحم الأرض، انشقوا على الأرض. تبددت
عظامهم عند الجحيم، لأن عيوننا إليك يا رب، يا رب عليك توكلت،
فلا تقتل نفسي. احفظني من الفخ الذي قد نصبوه
لي، ومن شكوك فاعلي الإثم. يسقط
الخطاة في شباكهم. وأكون أنا وحدي
حتى يجوز الإثم.
هللويا